قطوف من نعوت السلف

ومميزات منهجهم في أبواب العلم والعمل

تأليف
فضيلة الشيخ
زيد بن محمد بن هادي المدخلي



دار المنهاج

قُطُوفٌ مِنْ نُعُوتِ السَّلَفِ

وَمُمَيِّزَاتُ مَنْهَجِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/١٠٣٣٢م

دار المنهاج

٨١ شارع الهدي المحمدي - متفرع من أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة

جمهورية مصر العربية محمول: ٠١٢٣٩٥٣٣١٧

E-Mail:DarAlmenhag@HotMail.Com

قطوف من نعوت السلف

ومميزات منهجهم في أبواب العلم والعمل

تأليف
فضيلة الشيخ
زيد بن محمد بن هادي المدخلي

دار المنهاج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اتبع هداه.

ثُمَّ أما بعد: فهذا بحث وجيز كتبته تلبية لطلب بعض الإخوة المحبين لنشر العلم عمومًا، ونشر منهج علماء السلف خصوصًا، وقد جعلته مكونًا من بابين وخاتمة.

أما الباب الأول: فقد دونت فيه كثيرًا من نعوت علماء السلف ومميزات منهجهم في أبواب العلم والعمل.

وأما الباب الثاني: فهو حديث مختصر عن بعض الفرق التي غلت في الدين فوقعت في الفتنة، فضلت في نفسها وأضلت غيرها عن سواء السبيل.

وأما الخاتِمة فهي: طلب والتماس من العلماء الربانيين ليسهموا بجهد كبير في تفقيه الناس عمومًا، والشباب خصوصًا في دينهم، قيامًا بواجب النصيحة وبراءة للذمة ونصحًا للأمة ليظفروا بالأجر الوفير من الله العلي القدير.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتُها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثُمَّ إنه مما لا ريب فيه أن المتتبع لسير العلماء الربانيين والدعاة الحكماء المخلصين، وقادة الجهاد الصادقين الصابرين، يجد أن المنهج الحق والصراط المستقيم هو منهج السلف الصالحين في كل باب من أبواب العلم والعمل، وفي كل أمر من أمور الدنيا والدين ذلك لأنه منهج صيغت قواعده، وأحكمت بنوده، وحررت مسائله من نصوص كتاب الله المبين وصحيح سنة نبينا محمد الصادق المصدوق الأمين عليه من ربه أزكى تحية وأتم تسليم

ولعل سائلاً مستفيدًا يسأل قائلاً من هم السلف؟

فأجيبه: بما قاله العلماء الربانيون في وصفهم، وبيان حقيقتهم، ومميزات منهجهم مما علمته بالتتبع والاستقراء من قواعدهم الأصيلة وعلومهم الكثيرة الغزيرة. فأقول:



الباب الأول: السلف وبيان حقيقتهم

السلف: هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين حضروا عصره، وأخذوا منه هذا الدين القويم مباشرة غضًّا طريًّا علمًا وعملاً وخلقًا وسلوكًا، ويلحق بِهم في استحقاق هذا اللقب العظيم والوصف الجليل الكريم كل سالك في الاقتداء بِهم -رضي الله عنهم ونور مراقدهم- ولو كان في عصرنا هذا أو قبله أو بعده إلى يوم الدين، وعلى هذا الفهم الحق اجتمعت كلمة أهل العلم وصرّحوا أن من عداهم ممن خالفهم باسم أو رسم أو عمل فإنه ليس منهم وإن عاش بينهم وعاصرهم في أيام حياتِهم. حقًّا إن كل طالب علم منصف ليشهد أن السلف الصالح وأتباعهم ممن ورث علمهم ونَهج نَهجهم هم أغزر الناس علمًا، وأزكاهم سريرةً، وأعظمهم نصحًا، وأوضحهم طريقة ومنهجًا في كل باب من أبواب العلم والعمل إذ هم أئمة الفتوى في قضايا الأمة في كل زمان ومكان.

- وهم رجال القضاء فيما يتعلق بالأعراض والدماء والأموال.
- وهم أصحاب المؤلفات القيمة التي تزدهر بِها المكتبات ودور العلم مما يشفي العليل ويروي الغليل.
- وهم رجال التربية الشرعية، والتعليم المثمر الأصيل الذي تزكوا به النفوس وتحيا به القلوب.
- وهم أهل الجهاد بما تحمل كلمة الجهاد من معنى في حدود الشرع الشريف.
- وهم أهل النهى، وأصحاب الحكمة والإحسان في منهج الدعوة

إلى الله والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقيوده وضوابطه وحدود مراتبه، وعليه فليسوا كغيرهم من الجماعات والأحزاب ذات التنظيمات السرية أو العلنية، التي خالفت السلف في جلّ قواعد منهج دعوتِهم وسيلة وغاية فباءت بالفشل لسوء المسلك في طريق العمل، والواقع في دنيا البشر خير شاهد ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أعود فأقول: إن السلف وأتباعهم في كل زمان ومكان وفي كل عصر وبادية ومصر، هم أهل المنهج الحق الشامل الكامل علمًا وعملاً، وإن دعوتَهم تبدأ من أصل الدين الحق وقاعدته المتينة وتشمل كل باب من أبواب العلم في كبار المسائل وصغارها، ولا غرابة أن يكونوا كذلك فهم معدن ذلك إذ هم العلماء الربانيون، والمجاهدون الصابرون، والدعاة الحكماء المخلصون.

فعلينا أن نقتفي آثارهم في العلم والعمل، ونسلك نَهجهم في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحكم الولاء والبراء، وحسن المعاملة الشرعية مع الله ﷻ ومع الخلق أجمعين، معتصمين في كل ذلك بحبل الله المتين، الذي يتجلى في اتباع كتابه المبين، وصحيح سنة سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

وحقًّا ما قاله بعض الشعراء:

وكــل خــير في اتباع من سلف   وكــل شــر في ابتداع من خلف

وبعد: فإليك أيها القارئ الكريم بعضًا من خصائص علماء السلف ومميزات منهجهم باختصار:

١- اعتمادهم على نصوص الكتاب والسنة بالفهم الصحيح، والتفاعل معها في حياتِهم العلمية والعملية قولاً، وفعلاً، ظاهرًا، وباطنًا على حد قول الله ﷻ: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر:٧].



٢- سلامة النية وحسن القصد في كل ما يأتون ويذرون، مع التحلي بالصبر، والحكمة، والموعظة الحسنة الَّتِي تعتبر من أجلِّ الأسس الَّتِي تقوم عليها دعوة الإسلام.

٣- الالتزام التام بمنهج الرسل الكرام والأنبياء العظام في دعوتِهم المرضية والتخلق بأخلاقهم الزكية المنطلقة من القواعد الشرعية.

٤- وضوح الانطلاق والسير في عمل الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا سرية ولا تكتلات مخفية، ولا تجمعات خاصة في غياهب الظلام في فلوات الأرض أو تحت كهوف الجبال كما يفعله الحزبيون الحركيون في كل بلد من بلدان المسلمين، وبالأخص جماعة الإخوان المسلمين كما يسمون أنفسهم، بل السلف أهل جهر بالدعوة إلى الله والتعليم لعباد الله وبذل النصيحة لهم كل بحسب حاله ومقامه، وأمر بالمعروف ونَهي عن المنكر في حدود الاستطاعة الشرعية والتزام الآداب الإسلامية المرعية، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

٥- محبة التوسع في العلوم الشرعية ووسائلها، لأن الله ورسوله يحبان ذلك فقد أتى المدح والثناء على هذا الصنف من الناس في غير ما آية وحديث، كما أتى المدح في منظوم كلام العقلاء ومنثوره، وعليه فلا يهمنا قول من عابَهم بأنَّهم حفظة متون وحواش[1]: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: من الآية١١]. ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: من الآية٢٨]. «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنَّما العلم بالتعلم**»[2]. «**إن العلماء ورثة الأنبياء**»[1] الحديث.

---

(١) القائل هو الدكتور/ عبد الله عزام -رحمه الله وغفر لنا وله- في مجلة الجهاد رقم (٥٣) تحت عنوان: جاء الحق وزهق الباطل (عام ١٩٨٩م).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل (ج١/ص٢٥). ومسلم في الإمارة باب قوله: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق** ». (ج٣/رقم١٠٣٧) (ص١٥٣٤).

٦- التواضع في الطلب والنشر، وحسن الأدب مع الخلق، وبالأخص مع العلماء وما ذلك إلا لعلمهم بالفضائل العظمى والشرف النبيل لخلق التواضع الذي يجب أن يتحلى به كل مسلم ومسلمة، غير أنه في طلاب العلم يجب أن يكون أوفر لشدة حاجتهم إليه وهم يطلبون ميراث النبوة الغالي ويحملون رسالة الرسل إلى أمم الأرض الذين قضى الله فيهم بحكمه الأزلي -وهو الحكيم العليم- أن يكونوا على صفات متباينة، وأخلاق مختلفة واتجاهات متعددة، وعليه فما أعظم التواضع وما أشد حاجة الخليقة إليه، وبالأخص العلماء دعاة الهدى ورواد الفضائل قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان:٦٣] الآيات، وفي الحديث الصحيح: «**وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»(٢).

ولقد أحسن القائل:

تواضع تكن كالبدر لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع

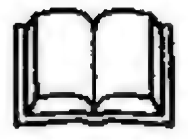
بخلاف خلق الفظاظة والصلف العلمي والتعالي فإنّها صفات تزري بطالب العلم وناشره، فالبدار البدار إلى المكارم والفضائل، والحذر الحذر من السوءات والرذائل، وفي الحكمة: "العلم حرب للمتعالي، كالسيل حرب للمكان العالي".

٧- العناية بصنع حلقات العلم في دوره الأولى -المساجد- الَّتي هي أشرف

---

(١) ذكره البخاري في الترجمة من كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل، قال الحافظ بن حجر في الفتح (٢١٦/١): أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم مصححًا من حديث أبي الدرداء.

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع (٢٠٠١/٤) رقم (٢٥٨٨).

البقاع عند الله وأحبها إليه، وفي غيرها من المؤسسات التعليمية كالمدارس على اختلاف مستوياتها بل وفي كل مكان يمكن نشر العلم فيه بأسلوبه السليم وطريقته المثلى، والتركيز عند السلف على العلوم التالية:

(أ) القرآن الكريم وقواعد تجويده ليستقيم اللسان ويصح النطق والأداء.

(ب) تفسير القرآن وعلومه مع اختيار التفاسير السلفية كـ"ابن جرير وابن كثير وأمثالهما".

(ج) علم العقيدة في جميع أبوابها، مع تحقيق كل ما ينفي التوحيد أو يخدش في كمال الاعتقاد، ومراجعهم فيها هي الكتب المعتبرة في هذا الفن، كـ"كتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب التوحيد لابن مندة، وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد وكتاب السنة للخلال، وأصول الاعتقاد للالكائي، والإبانة لابن بطة العكبري، ومكتبة الإمام ابن تيمية، ومكتبة الإمام ابن قيم الجوزية وغير ذلك من كتب هذا الفن الجليل بالإضافة إلى كتب التوحيد المدونة في الصحاح والسنن من كتب الحديث.

كما أن بين أيدينا اليوم مؤلفات في العقيدة معاصرة كمؤلفات وفتاوى الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، ومؤلفات كثير من أبنائه وأحفاده وتلاميذه من علماء نجد الربانيين وغيرهم وأخص بالذكر صاحب معارج القبول وأعلام السنة المنشورة في اعتقاد الطائفة المنصورة علامة زمانه حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، والشيخ الجليل عبد العزيز بن باز الأثري، والشيخ الجليل محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ الجليل محمد بن صالح بن عثيمين، والشيخ الفاضل حمود التويجري، والشيخ الفاضل محمد أمان بن علي الجامي -رحمهم الله جميعًا-، والشيخ الفاضل صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، والشيخ الفاضل عبد العزيز المحمد السلمان، والشيخ الفاضل ربيع بن هادي عمير المدخلي، والشيخ الفاضل

صالح بن سعد السحيمي، والشيخ الفاضل علي بن ناصر الفقيهي، والشيخ الفاضل فالح الحربي، والشيخ الفاضل عبيد الجابري، والشيخ الفاضل محمد بن هادي المدخلي، والشيخ الفاضل محمد بن ربيع المدخلي، والشيخ أحمد بن يحيى النجمي، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وغير هؤلاء[١] الأخيار من علماء السلف المعاصرين كثير كثَّرَ الله سوادهم ونفع بِهم وبعلومهم العباد.

(د) علم الحديث، ويؤخذ منه ومن القرآن الفقه المفصل لأركان الإسلام، والإيمان، والإحسان، وبيان الحلال والحرام وتفصيل سائر الأحكام التي كلف الله بِها جميع الأنام.

(هـ) علم الفرائض وما أشد حاجة الخلق إليه إذ بفهم هذا العلم تصل الحقوق إلى ذويها.

(و) علم السيرة النبوية وما فيها من العبر، وهكذا يضاف إلى هذه الفنون الشرعية الأهم فالمهم وذلك بحسب المستوى الذي يتلقى أصحابه العلم.

٨- الرفق بالخلق والحلم والأناة في حدود الشرع، وما ذلك إلا لأن هذه الصفات الطيبة من صفات الدعاة إلى الله، والمحسنين من عباده جاء الترغيب في التحلي بِهَا، وفي الاستضاءة بنورها آيات كريمات محكمات وأحاديث صحيحة مروية عن رسول الله ﷺ، من ذلك قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقوله ﷻ: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي

(١) كل واحد من هؤلاء العلماء الأفاضل الذين ذكرت أسماءهم على سبيل المثال، لهم كتب وكتابات مطبوعة، وأشرطة مسجلة في فن العقيدة السلفية وإيضاح منهج السلف في كل باب من أبواب العلم والعمل الشرعي أرشد القراء للاستفادة منها والانتفاع بِها لصفائها.

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

وقول النبي ﷺ لأشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله، الحلم والأناة**»[١]. وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»[٢]. من حديث طويل عن عائشة.

وقوله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**»[٣] أخرجه مسلم.

ولقد أتى الثناء على هذه الصفات في آثار ووصايا وحكم نثرًا ونظمًا فمن ذلك ما أثر عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قسم قطفًا فأعطى شيخًا من أهل دمشق قطيفة فلم تعجبه، فحلف أن يضرب بها رأس معاوية فأتاه خبره فقال له معاوية: "أوف بنذرك وليرفق الشيخ بالشيخ"[٤] وجاء في بعض الآثار أن ضمضم رضي الله عنه كان إذا خرج من منْزله قال: «**اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك**»[٥].

وقال بعض الشعراء:

أحب مكارم الأخلاق جهدي ... وأكره أن أعيب وأن أعابا

وأصفح عن سباب الناس حلمًا ... وشر الناس من يهوي السبابا

ومن هاب الرجال تهيبوه ... ومن حقر الرجال فلن يهابا

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب ١٧) (ج١/ص٤٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب فضل الرفق (ج٤/رقم ٢٥٩٣) (ص٢٠٠٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٠١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٥) أخرجه أبو داود (٤/٢٧٢).

وقال آخر فأحسن القول:

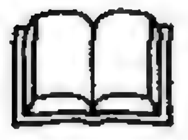
سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه إلَيَّ الجرائم
فما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فأحلم دائبا ... وأصون به عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الفضل بالفخر حاكم

وانطلاقًا مما دلت عليه هذه النصوص والآثار والوصايا والحكم، اعتبر السلفيون تلك الصفات الفاضلة -الرفق والحلم والأناة- من مقومات منهج دعوتُهم إلى الله، فاتصفوا بها، وتفاعلوا معها، فكتب الله لدعوتهم النجاح على أيديهم في كل زمان ومكان: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: من الآية٢١].

٩- الفهم الصحيح والتطبيق الشرعي لحكم الولاء والبراء لأهل السنة والجماعة، حقًّا إن لأهل السنة والجماعة منهجهم الحق في هذا الباب، إذ هو عندهم من الدعائم التي يقوم عليها بناء الإيمان، انطلاقًا من معنى قول النبي ﷺ: «**أوثق عرى الإيْمان الحب في الله والبغض في الله**»[١] وفي لفظ آخر: «**أوثق عرى الإيْمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله**»[٢]. وجاء في معنى

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/٢٨٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/٨٩)، ومصنف ابن أبي شيبة (٦/١٧٠)، ومسند الطيالسي (١/١٠١).

(٢) أورده السيوطي في الجامع الصغير، وقال الألباني في الصحيحة إسناده حسن وعزاه إلى مسند الطيالسي، ومستدرك الحاكم، والطبراني في الكبير والأوسط، انظر الصحيحة للألباني (رقم ١٧٢٨).



هذين النصين قول حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس ﷺ: «**من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله**»[(١)].

وقال ابن تيمية -وهو إمام من أئمة السلف-: "على المؤمن أن يعادي في الله ويوالي في الله فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه -وإن ظلمه- فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية وعلى ذلك درج السلف الصالح واستقام عليه أتباعهم، بحيث يوالون أهل الإيمان والاستقامة ولاءً على حسب مراتبهم في الإيمان بكل ما يجب الإيمان به والاستقامة على الحق رجاء ثواب الله وخشية من عقابه، ويقومون بلوازم هذا الولاء من المحبة الشرعية، والنصرة على الحق لأهل الاستقامة والإيمان، وبجانب ذلك هم يعادون الكفرة والملحدين والمشركين والمنافقين وأصحاب الأهواء والبدع وذلك بحسب الضرر الصادر منهم على الإسلام والمسلمين"[(٢)].

وإذا كان الأمر كما علمت، فكن يا أخي المسلم محبًّا لله وفيه ولكافة مراضيه، ومبغضًا فيه كل ما يبغضه ويسخطه ويؤذيه، فإنك إن فعلت ذلك نلت ولايته وورثت جنته، وسعدت برحمته ورضاه في دار كرامته.

وأخيرًا: وبعد أن عرفت منهج سلفك الصالح في هذا الباب المهم، وتبين لك أنه الحق، فلا إخالك تتوقف أو تتردد في الحكم بالخطأ الصادر من جاسم المهلهل الناطق بلسان الإخوان المسلمين حينما قال: "بل دعوة الإخوان ترفض أن يكون في صفوفها أي شخص يرفض التقيد بخططهم ونظامهم، ولو كان أروع الدعاة

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (ص٣٠) وقال في آخره: "أخرجه ابن جرير الطبري ومحمد بن نصر المروزي".

(٢) مجموع الفتاوى (ج٢٨/ص٢٠٨-٢٠٩).

فهمًا للإسلام وعقيدته، وأكثرهم قراءة للكتب ومن أشد المسلمين حماسة وأخشعهم فِي الصلاة"(١).

وأما راقم هذه الأسطر فإنه لا يزيد هنا في التعليق على هذه القضية على قول: "فأين تحقيق حكم الولاء والبراء الشرعي يا جاسم المهلهل؟".

ويمكن أن يجيب جاسم المهلهل ومن يوافقه؛ بأنه لا يلزم -من طردنا الشخص الذي ذاك وصفه من صفوف الجماعة- بغضه ولا معاداته، ولكن خشية ألا يتقيد بنظام دعوتنا التي تحتاج إليها سائر الدعوات، فهي التي توجه ولا تتوجه، وتؤثر ولا تتأثر، كما لا يلزم من ضمنا إلى صفوف الجماعة شيعيًّا أو خرافيًّا محبته ولا موالاته ولكن لالتزامه بخطط الجماعة ونظامها ولتكثير سواد أهلها ويقال لهم حينئذ: هذا جواب يضحك منه عوام المسلمين قبل علمائهم وعقلائهم.

١٠- البحث عن الحق بدليله، لا شك أن البحث عن الحق بدليله من مصادره، من مميزات السلف، ومقومات منهجهم، وما ذلك إلا ليصلوا إلى الغاية المنشودة، والحقيقة المقصودة، من خير الطرق وأزكاها، وليس من منهجهم التقليد في أحكام دينهم، ولا في منهج دعوتِهم وأمرهم ونَهيهم، ثُمَّ إنَّهم متَى اتضح لهم الحق بدليله الواضح الصريح اتبعوه واعتصموا به في أي باب من أبواب العلم، وفي أي مسألة من مسائله، مع العلم أن مصادر منهجهم هي الكتاب العزيز وصحيح السنة المطهرة وإجماع من يعتد بإجماعهم من أولي العلم والبصائر، ويلحق بِهذه الثلاثة، القياس الجلي كما يضاف إليها الاستعانة بما تم تدوينه من العلوم النافعة ممن كان قبلنا، فإن ذلك كله كفيل بالإيضاح والبيان لكل مسألة من مسائل العلم، وكل حكم من أحكامه التي من جملتها طريق الدعوة إلى الله على قاعدة الحب في الله والبغض فيه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه.

---

(١) انظر كتابه "للدعاة فقط" (ص١٢٢).

١١- وجوب السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في المعروف: إن من ميزات منهج السلف ومقوماته، موقفهم الصحيح من حكام المسلمين، المتمثل في القيام بالحقوق الشرعية تجاههم وعدم الخروج عليهم وإن فسقوا أو جاروا ما لَم يرتكبوا كفرًا بواحًا فيه من الله برهان، من هذه الحقوق:

● الطاعة في كل شيء طوعًا واختيارًا لا رغبة ولا رهبة، وذلك لأن الله تعالى أمر بطاعة ولي الأمر من المسلمين، سواء كان صاحب ولاية عامة أو خاصة حيث قال: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: من الآية٥٩] غير أن طاعة ولي الأمر مقيدة بالمعروف، فإذا أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة لما ثبت في الصحيحين من حديث علي بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا وأمَّر عليهم رجلاً، فأوقد نارًا وقال: «**أدخلوها**، فأراد أناس أن يدخلوها وقال الآخرون: إنا قد فررنا منها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: **لو دخلتموها لَم تزالوا فيها إلى يوم القيامة**، وقال للآخرين قولاً حسنًا، أو قال: **لا طاعة في معصية الله إنَّما الطاعة في المعروف**»[١] ومثله ما ثبت عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ أنه قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[٢].

● الصبر على ولاة الأمر وإن جاروا في ولايتهم -كما أسلفت- ماداموا يقيمون فيهم شرع الله، ويؤمِّنون لهم السبل، ويسعون في سبيل صلاحهم وإصلاحهم في الدارين، امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ الذي رواه مسلم من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: «يا رسول الله إنا كنا بِشَرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء ذلك الخير شر قال: **نعم**. قلت: وهل وراء ذلك الشر خير، قال:

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٢/٦ و ٢٦٤٦)، ومسلم (١٤٦٩/٣).
(٢) أخرجه البخاري (٢٦١٢/٦)، ومسلم (١٤٦٩/٣).

نعم. قلت: فهل وراء ذلك الخير شر، قال: **نعم**. قلت: كيف؟ قال: **يكون بعدي أئمة لا يهتدون بِهدي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبَهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**. قال: قلت: كيف أصنع إن أدركت ذلك، قال: **تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك واخذ مالك فاسمع وأطع**»(١).

ففي هذا دليل لمذهب السلف على وجوب الصبر على ولاة الأمر من المسلمين وإن جاروا على الرعية فضربوا الظهر وأخذوا المال وما ذلك إلا لأهمية لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

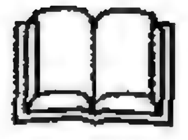
● بذل النصح لهم لما فيه من المصالح الدينية والدنيوية، كما قال تعالى: ﴿**إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: من الآية٩١].

وكما قال النبي ﷺ: «**الدين النصيحة ثلاثًا، قلنا لمن يا رسول الله قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(٢). غير أنه يجب أن تكون نصيحة ولاة الأمر بطريقة خاصة فيها ستر عليهم وإن كانت كذلك فهي جديرة بالقبول، أما إذا كانت على رءوس الأشهاد وعلى سبيل العلن فإنَّها تبعث على الاستنكاف عنها غالبًا بل ربما وصل الأمر بالبطش بالناصح وإن كان أمينًا.

● نَهيهم عن المنكر إذا ارتكبوه عمدًا أو جهلاً، وسواء فيما بينهم وبين ربِّهم أو فيما بينهم وبين رعاياهم، والنهي عن المنكر فريضة على المسلم بحسب قدرته وفي حدود استطاعته، وإن أولى الناس بنصح ولاة الأمور، وأمرهم بالمعروف ونَهيهم عن المنكر هم العلماء الذين يعرفون حدود المعروف وحدود المنكر، ومدى فضيلة الأول ومدى خطر الثاني، ولسلفنا الصالح مواقف مع ولاة

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن باب كيف إذا لَم تكن جماعة (ج٩/ص٤٣، ٤٤٥)، ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (ج٣/رقم ١٨٤٧) (ص١٤٧٦).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (رقم ٥٥).

الأمور غير خافية تبرهن على غزارة علمهم ومدى صدقهم وإخلاصهم حكمتهم.

● الدعاء لهم بالتوفيق والهداية إلى أقوم طريق لاسيما من أهل العلم والتقوى الذين يهمهم شأن المسلمين ويحرصون على مصالحهم الدينية والدنيوية، ويعلمون أن بصلاح الراعي تصلح الرعية غالبًا لأنه قائدها وآمرها وناهيها، وهي المأمورة بالسمع والطاعة له في المعروف، ألا وإن دعاء الرعية المسلمين لإمامهم دليل على صلاحه كما في حديث عوف بن مالك الأشجعي وفيه: «..... **خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم**»(١) الحديث.

● عدم الخروج عليهم بسبب عمل معصية أو بدعة لَم تخرج صاحبها من الإسلام ما داموا يقيمون الحدود، والشعائر، ويؤمنون السبل، فإذا جاء الوالي المسلم بمعصية يكفر بها شرعًا، وجب نصحه إن أمكن فإن أصر وجب خلعه عند القدرة على ذلك لأنه لا سلطان لكافر على مؤمن، كما قال الله ﷻ: ﴿**وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾ [النساء: من الآية١٤١].

ولما روى مسلم في صحيحه عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا حدثنا -أصلحك الله- بحديث ينفع الله به، سمعته من رسول الله ﷺ، فقال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن يبايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا، ومكرهنا، وعسرنا، ويسرنا، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: **إلا أن ترو كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»(٢)، ففي هذا الحديث نَهي صريح عن الخروج على ولاة الأمور بدون حجة من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ولو كانوا فسقة ظالمين غير كافرين،

(١) أخرجه مسلم في الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم (٣/١٤٨١ و ١٤٨٢).
(٢) مسلم في الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (ج٣/ رقم ١٧٠٩) (ص١٤٧٠).

لا يجوز نزع اليد من طاعتهم فإن في ذلك خطرًا عظيمًا وجهلاً شنيعًا ما داموا مسلمين ويقيمون في الرعية أمر الدين.

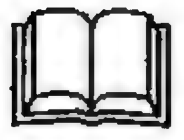
هذا وكم من حديث جاء فيه التحذير من خلع اليد من طاعة من قد أعطا له صفقتها، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»(١)، وعند مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»(٢).

قلت: ففي هذه النصوص وجوب الوفاء بالبيعة للأول فالأول فإذا جاء آخر ينازعه وجب على أهل الحل والعقد دفعه فإن لَم يندفع وينْزجر فإنه يجب أن يقتل لتبقى الجماعة آمنة غير متنازعة ولا متقاتلة، اللهم إلا إذا تغلب الآخر على الأول واستتب له الأمر واجتمع عليه الناس ولا سبيل إلى نصرة الأول فتتعين مبايعته لئلا تسفك الدماء وتسود الفوضى، والله أعلم.

وللشيخ/ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ -وهو من أئمة السلف في العصر الحديث- رسالة في وجوب طاعة أولي الأمر وإن ظلموا، جاء فيها ما نصه: "وقد بلغني عن بعض من غره الغرور الطعن في العلماء ورميهم بالمداهنة وأشباه هذه الأقاويل التي صدت أكثر الخلق عن دين الله وزين لهم الشيطان بسبب ذلك الطعن في الولاية بأمور حقيقتها البهتان والطعن بالباطل، وقد علمتم

(١) مسلم في الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال تحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة (ج٣/ رقم١٨٥١) (ص١٤٧٨).

(٢) مسلم في الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلم وهو مجتمع (ج٣/ رقم ١٨٥٣) (ص١٤٧٩، ١٤٨٠).



ما جاء به ﷺ وفرضه من السمع والطاعة، قال تعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: من الآية٥٩].

ولَم يستثن سبحانه برًا من فاجر، ونَهى ﷺ عن إنكار المنكر إذا أفضى إلى الخروج عن طاعة ولي الأمر ونَهى عن قتالهم لما فيه من الفساد، فعن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعنا، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة، في مكرهنا، ومنشطنا، وعسرنا، ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، قال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**»[1] أخرجاه في الصحيحين.

فقوله: «**وأن لا ننازع الأمر أهله**». دليل على المنع من قتال الأئمة إلا أن يروا كفرًا بواحًا، وهو الظاهر الذي قد باح به صاحبه، فطاعة ولي الأمر وترك منازعته هي فصل النِّزاع بين أهل السنة وبين الخوارج والرافضة.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**اسمع وأطع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك**»[2].

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية**»[3].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة**

---

(١) مسلم في الإمارة باب "وجوب ملازمة جماعة المسلمين" (ج٣/ رقم١٨٤٧) (ص١٤٧٦).

(٢) مسلم في الإمارة الباب السابق (ج٣/ رقم ١٨٤٩) (ص ١٤٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦/٢٥٨٨، ٢٦١٢)، ومسلم (٣/١٤٧٨) واللفظ له.

جاهلية»[١]، فذكر في هذا الحديث البيعة والطاعة، فالخروج عليهم نقض للعهد والبيعة، وترك طاعتهم ترك للطاعة.

وبهذه الأحاديث وأمثالها عمل أصحاب رسول الله ﷺ بها وعرفوا أنّها من الأصول الّتي لا يقوم الإسلام إلا بهَا، وشاهدوا من يزيد بن معاوية والحجاج ومن بعدهم -خلا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز- أمورًا ظاهرة ليست خفية، ونُهوا عن الخروج عليهم، والطعن فيهم، ورأوا أن الخارج عليهم خارج عن دعوة المسلمين إلى طريق الخوارج، ولهذا لما حج ابن عمر -رضي الله عنهما- مع الحجاج وطُعن في رجله قيل له: أنبايعك على الخروج على الحجاج وعزله -وهو أمير من أمراء عبد الملك بن مروان- غلظ الإنكار عليهم وقال: لا أنزع يدًا من طاعة. واحتج عليهم بالحديث الذي تقدم ذكره إلى أن قال -أي: عبد الله بن عبد اللطيف-: "فإذا فهمتم ذلك فاشكروا نعمة الله عليكم بما منَّ به من إمامة إسلام تدعوهم إليه ظاهرًا أو باطنًا مما سمعتم وصدقه الفعل من بذل المال والسلاح والقوة وإعانة المهاجرين من أجل دينه لا لقصد سوى ذلك، يعرف ذلك من عرفه، ولا يجحده إلا منافق مفارق بقلبه ونيته ما اعتقده المسلمون وقاموا به. وأما الطعن على العلماء فالخطأ ما يعصم منه أحد، والحق ضالة المؤمن، فمن كان عنده علم يقتضي الطعن فليبينه جهارًا ولا يخف في الله لومة لائم، حتى يعرفوا حقيقة الطعن وموجبه، واحذروا التمادي في الضلالة، والخروج عن الجماعة فالحق عيوف[٢] والباطل شنوف[٣]، والشيطان متكئ على شماله يدب بين الأمة بالعداوة والشحناء عياذًا بالله من فتنة جاهل مغرور، أو خديعة فاجر ذي دهاء

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٨/٣).

(٢) أي: يكرهه غالب الناس "لسان العرب".

(٣) يقال: شنف إلى الشيء إذا نظر إليه باعتراض.

وفجور، يميل به الهوى، ويزين له الشيطان طرق الغواية والردى.

والله أسأل أن يثبتنا وإياكم على دينه، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين"[١] انتهى.

وقال الشيخ/ سعد بن حمد بن عتيق كلامًا في هذا الموضوع -وهو إمام من أئمة السلف في العصر الحديث- قال: ومما انتحله بعض هؤلاء الجهلة المغرورين، الاستخفاف بولاية المسلمين، والتساهل بمخالفة إمام المسلمين، والخروج عن طاعته والافتيات عليه، وهذا من الجهل والسعي في الأرض بالفساد بمكان يعرف ذلك كل ذي عقل وإيمان، وقد علم بالضرورة الإسلامية أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وأن الخروج عن طاعة أولي أمر المسلمين والافتيات عليه من أعظم أسباب الفساد في البلاد، والعباد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد وقد قيل:

تُهدي الأمور بأهل الرأي إن رشدت ... وإن تولت فبالأشرار تنقاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا صلاح إذا جهالهم سادوا

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**وأنا آمركم بخمس: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**»[٢].

وفي الحديث أيضًا: «**ثلاثٌ لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله،**

---

(١) مجموعة رسائل وفتاوى في مسائل تمس إليها حاجة العصر (ص٧-١١).

(٢) أخرجه الترمذي (١٤٨/٥)، وابن خزيمة في صحيحه (١٩٥/٣) بنحوه، والهيثمي في المجمع (٥/ ٢١٧)، والإمام أحمد في مسنده (١٣٠/٤) و (٣٤٤/٥)، والمعجم الكبير (٢٨٦/٣، ٢٨٨).

ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتَهم تحيط من ورائهم»[١] إلى أن قال: ومن ذلك ما وقع من غلاة هؤلاء، من اتِّهام أهل العلم والدين، ونسبتهم إلى التقصير، وترك القيام بما وجب عليهم من أمر الله سبحانه، وكتمان ما يعلمون من الحق".

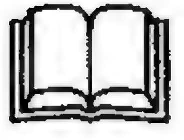
ولَم يدر هؤلاء الجهلة، أن اغتياب أهل العلم والدين والتفكه بأعراض المؤمنين سمٌّ قاتل، وداء دفين، وإثم واضح مبين، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

وقال الشاعر:

أقلــوا عليهم لا أبًا لأبيكمــوا   من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

ومما قاله الإمامان الجليلان/ محمد بن عبد اللطيف وعبد الله بن عبد العزيز آل الشيخ في هذا الموضوع ما نصه: "ومما أدخل الشيطان على بعض المتدينين إساءة الظن بولي الأمر، وعدم الطاعة له فإن هذا من أعظم المعاصي ومنهم من يستبد برأيه، وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر في العسر، وفي اليسر، والمنشط والمكره، حَتَّى قال ﷺ: «اسمع وأطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك» فتحرم معصيته والاعتراض عليه في ولايته وفي معاملته، وفي معاقدته ومعاهدته لأنه نائب المسلمين والناظر في مصالحهم، ونظره لهم خير من نظرهم لأنفسهم، ولأن بولايته يستقيم نظام الدين، وتتفق كلمة المسلمين لاسيما وقد منَّ الله عليكم بإمام ولايته ولاية دينية، وقد بذل النصح لعامة رعيته من المسلمين خصوصًا المتدينين بالإحسان إليهم، ونفعهم، وبناء

(١) أخرجه ابن حبان (٢/٤٥٥)، والحاكم قي المستدرك (١/١٦٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، والترمذي (٥/٣٤). والدارمي (١/٨٦)، والهيثمي في المجمع (١/١٣٧) وسنن ابن ماجه (٢/١٠١٥)، ومسند أحمد (٤/٨٠ و ٨٢).

مساجدهم، وبث الدعاة فيهم، والإغضاء عن زلاتِهم وجهالاتِهم، ووجود هذا في آخر هذا الزمان من أعظم ما أنعم الله به على أهل الجزيرة، فيجب عليهم شكر هذه النعمة ومراعاتِها، والقيام بنصرته والنصح له باطنًا وظاهرًا، ولا يجوز لأحد الافتيات عليه، ولا مضي في شيء من الأمور[١] إلا بإذنه ومن الافتيات عليه فقد سعى في شق عصا المسلمين وفارق جماعتهم، وقد قال النبي ﷺ: **«من عصى الأمير فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله»**[٢]، والمراد بالأمير في هذا الحديث من ولاه الله أمر المسلمين وهو الإمام الأعظم[٣][٤]. اهـ.

قال ابن رجب -رحمه الله تعالى- في شرح الأربعين له: "وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم، وبِها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربِّهم، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن الناس لا يصلحهم إلا إمام برٌّ أو فاجر إن كان فاجر عبد المؤمن فيه ربه وحمل الفاجر فيها أجله"[٥].

وقال الحسن في الأمراء: "يلون في أمورنا خمسًا: الجمعة والجماعة، والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بِهم وإن جاروا فظلموا، والله لما يصلح بِهم أكثر مما يفسدون مع إن طاعتهم والله لغيظ وإن فرقتهم لكفر".

---

(١) يعني الأمور العامة المنوطة بالإمام وعماله من سياسية وقضائية وقصاص كإقامة الحدود وسائر العقوبات التعزيرية فليس لأحد من أفراد الناس أن يعاقب أحدًا على ذنب ارتكبه بضرب ولا بسبب بل العقاب حق الإمام أو نائبه.

(٢) أخرجه البخاري (٣/١٠٨٠) بنحوه، ومسلم (٣/١٤٦٦) بنحوه.

(٣) ومثله نوابه وعماله..

(٤) انتهى من مجموعة رسائل وفتاوى في مسائل مهمة تمس إليها حاجة هذا العصر (ص٢٨).

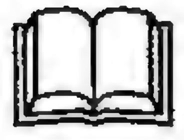
(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/٣٢٨) بنحوه.

وقال الخلال في الإمارة من حديث أبي أمامة قال: «أمر رسول الله ﷺ أصحابه حين صلوا العشاء أن احشدوا **فإن لي إليكم حاجة**، فلما فرغوا من صلاة الصبح قال: **هل حشدتم كما أمرتكم**، قالوا: نعم، قال: **اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا هل عقلتم هذه ثلاثًا**، قلنا: نعم، قال: **أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة هل عقلتم هذه ثلاثًا**، قالوا: نعم، قال: **اسمعوا وأطيعوا، هل عقلتم هذه؟** قلنا: نعم قال: فكنا نرى أن رسول الله ﷺ سيتكلم كلامًا طويلاً ثُمَّ ننظر في كلامه فإذا هو قد جمع الأمر كله»[(١)] انتهى [(٢)].

وقد كتب الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم في هذا الموضوع المهم حيث قال ابن تيمية في كتابه "السياسة الشرعية": يجب أن يعرف ولاية أمور الناس أنَّها من أعظم واجبات الدين؛ بل لا قيام للدين إلا بِهَا، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس، إلى أن قال: فإن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة وكذلك سائر ما أوجب الله تعالى من الجهاد والعمل، وإقامة الحج، والجمع والأعياد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود لا يتم إلا بالقوة والإمارة، ولهذا روي أن السلطان ظل الله في الأرض. ويقال: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان، والتجربة تبين ذلك ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهم يقولون: "لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بِها للسلطان، وإلى أن قال: فالواجب اتخاذ الإمارة دينًا وقربة يتقرب بِها إلى الله فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال

(١) رواه أيضًا الطبراني في الكبير(٧٦٧٨)، وذكره الهيثمي فِي المجمع (٤٦/١)، وقال: في إسناده إسحاق بن إبراهيم بن زبريق وثقه يحيى بن معين وأبو حاتم، وضعفه النسائي وأبو داود.

(٢) جامع العلوم والحكم (١١٧/٢).

أكثر الناس لابتغاء الرياسة والمال"[١] انتهى.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في إعلام الموقعين: والمثال الأول أن النَّبِي ﷺ شرع لأمته إيجابًا إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار منكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر.

ولقد استأذن الصحابة ﷺ رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها فقالوا: «أفلا نقاتلهم، فقال: **لا ما أقاموا الصلاة.** وقال: **من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعنّ يدًا من طاعة**». ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار، رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر طلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه"[٢].

وأختم هذه النقول القيمة عن أئمة السلف بقصة أوردها ابن مفلح في الآداب الشرعية حيث قال: "قال حنبل: اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبد الله -يعني: الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى- وقالوا: إن الأمر قد تفاقم وفشا -يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك- ولا نرضى بإمارته ولا سلطانه، فناظرهم في ذلك وقال: عليكم بالإنكار في قلوبكم ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح بر ويستراح من فاجر وقال: ليس هذا -يعني نزع أيديهم من طاعته- صوابًا هذا خلاف الآثار[٣].

---

(١) السياسة الشرعية (ضمن الفتاوى): (٢٨/٣٩٠-٣٩١).

(٢) إعلام الموقعين (٣ /٤).

(٣) الآداب الشرعية (١/١٩٥-١٩٦)، وأخرج القصة الخلال في السنة (ص١٣٣).

ولعل سائلاً يسأل فيقول: ما سر التوسع في إيراد تلك الأدلة والنقول في هذه الميزة من مميزات منهج السلف حيال موقفهم من حكام المسلمين.

فأقول له: سر ذلك هو -ليتبين لي وللقراء الكرام طلاب الحق ومحبي الهدى والفضيلة- أن الخروج من طاعة ولي الأمر المسلم -ولو كان جائرًا- يعتبر معصية عظمى، تجر الأمة إلى الفوضى والدمار من سفك دماء وافتراق كلمة ورمي الناس بعضهم بعضًا بالانحراف والضلال بدون حق.

وليتبين أيضًا للجميع أن محاولة الخروج عليهم والتخطيط له يعتبر مشاقة لله ولرسوله ومخالفة لما عليه السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

ثُمَّ ليتبين أن ما وقع من ولي الأمر المسلم، من معاص، ومخالفات، لا توجب الكفر والخروج من الإسلام لا تسوغ الخروج عليه ولا محاولته ولا التجمع ضده، كما لا تسوغ التشهير به في المجالس العامة، ولا التشنيع عليه، ولا الإعلان عن خطاياه في وسائل الإعلام بل كل ذلك من الغلط الفاحش، والجهل الظاهر اللذين يترتب عليهما مفاسد عظام، وأضرار جسام، تحيط بالناس في أمر دينهم ودنياهم كما عرف ذلك وحققه من نور الله بصيرته، وهدى قلبه من السلف الصالح أئمة الشرع والفقه في الدين.

وإننا لنحمد الله -تبارك وتعالى- أن أتباع السلف في زماننا هذا في البلاد وفي غيرها من بلدان المسلمين ليعلمون ذلك جيدًا، ويتقيدون به ويبينونه للناس نصحًا للأمة، وخشية من عقوبة الكتمان، وأما من شذ عن طريقتهم ومنهجهم ممن أصيب بداء التحزب، والتكتل، والتنظيم التي في ظاهرها نصرة الدعوة إلى الله، وفي حقيقة أمرها دعوة إلى الفرقة ولابد، لأنه لا يجوز لعلماء المسلمين وأتباعهم أن يوحدوا كلمتهم على أمر مبتدع، ولا يجمعوا أمرهم على ما فيه مخالفة ظاهرة لسبيل سلفهم الصالح.

ولا يفهم من هذا أن ولي الأمر لا يؤمر ولا ينهى من قبل الراسخين في العلم معاذ الله أن يكون كذلك بل يجب أمرهم ونَهيهم في حدود الاستطاعة الشرعية امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ الوارد في حديث تميم الداري، وبالأسلوب الذي أرشد إليه النبي ﷺ أمته حيث قال: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه ذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه**»[1].

وتنفيذاً لهذا التوجيه الحكيم فقد ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد أنه قيل له: «ألا تدخل على عثمان فتكلمه فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتحه». وهذا سياق مسلم ويعني بالأمر "التهييج على الفتنة".

أكرر فأقول: هذا هو منهج سلفنا الصالحين، فعلى الدعاة والمربين أن يعتصموا به ليرضوا ربَّهم ويحترموا دعوتَهم ويرحموا أمتهم الذين لا موجه لهم إلى الخير سواهم.

ولنعلم جميعًا أن أسلوب المظاهرات بصفتها المعروفة اليوم -ضد الحكام وإن كانوا فساقًا وظالمين- وتدبير الاغتيالات لهم، أو لرجال حكومتهم، والتخطيط للانقلابات للإطاحة بِهم وأخذ الحكم منهم، والتفجير في المنشآت والاعتداء بالقتل على شرطهم وغير ذلك مما هو معلوم، لا يلتقي مع منهج السلف لا في الوسائل ولا في الغايات وإن كان بدافع الغيرة على الإسلام، فكم قد رأينا من المآسي والويلات التي حقت بمن سلكوا هذه المسالك بل تجاوزته إلى سواهم من المسلمين ممن لَم يكن مشاركًا في تلك التصرفات والله المستعان.

هذا وإذا كنت أيها القارئ الكريم قد استمتعت بحظ وافر من منثور الكلام

---

(١) أورده صاحب كتاب السنة الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم (ج٣/ص٥٢١) وهو حديث حسن.

في هذا الباب العظيم المهم، فاسمع لما سيكون خاتمة له من منظوم الكلام لراقم هذه الأسطر تحت عنوان: "هم سألوني فأجبتهم" حيث قلت:

هم سألوا لأي حزب أنتمي ... فقلت حزب واحد[1] حقًّا نمي
أضافه ربي تعالى جده ... لنفسه وحيًا تسامى مجده
في سورة عظمى تسمى المائدة ... اقرأ بفهمٍ كي تحوز الفائدة
وسورة أخرى هي المجادلة ... قد ذكرت فيها بلا مجادلة
ثُمَّ سؤالاً ثانيًا قد أوردوا ... عن منهجي ماذا وكيف المقصد
فقلت إني سالك درب الهدى ... وراغبٌ حقًّا لأحيا في هدى
من مصدر هو الكتاب المعتبر ... لعالم الجن وسائر البشر
وسنة الهادي ونَهج من سلف ... من ناصري الدين أئمة السلف
وما سوى هذا فشر مبتدع ... فاحذره حتمًا واحترس من البدع
يا ويح من يدعى لتنظيم عرف ... بِمنهج الإخوان[2] أجلى ما عرف
بالمنهج السري حقًّا يعلم ... فاحذره تغنم وانتبه يا مسلم
كم حدث غر نراه مفلسًا ... في خندق الإخوان يمسي في أسى
وبيعة وإمرة ومرتبة ... وكلها وهم كذاك المنقبة
له دعاة يعملون في الخفا ... في مهبط الوحي وأرض الحنفا
يؤسفنا حقًّا عظيم الأسف ... صنيعهم هذا بأسلوب خفي
ومن تصدى لبيان أمرهم ... قالوا: عميل لولي أمرهم
وغير هذا من هجومهم على ... خير الدعاة والهداة النبلا

---

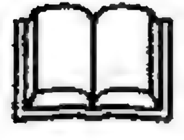
(١) هو حزب الله المذكور في قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦] ونظائرها في المجادلة آية: ٢٢.

(٢) المراد بذلك: حزب الإخوان المسلمين.

وقولهم عنهم ضعاف سذج	فأحذرهم يا صاح هذا المنهج
وكل أمر محدث له سبب	زينه الشيطان جالب العطب
وسبب التنظيم هذا الوافد	وكونه سرًا خفي المرصد
هو الغرور والأماني الخائبة	لتنشر الفوضى وتخزي العاقبة
وقلة الفقه وسوء المقصد	فعنهما حدث بلا تردد
كلاهما شر وفتنة طغت	من شهوة أو شبهة قد انطلت
على ضعاف في العقول السذج	من قلدوا فعلاً دعاة المنهج
من قالوا يا قوم تعالوا نحونا	نسعى جميعًا لنلم شعثنا
لنتفق فيما عليه نتفق	ونسقط النصح لئلا نفترق
وحينما بان الطريق الأقوم	عادوا سراعًا للسبيل فاحتموا
من ربقة التقليد بالعلم الجلي	ومنهج الحق الشريف الأمثل
ومن يكن مع الإله صادقًا	في مطلب الخير وعز المرتقى
يهديه ربي لا إله غيره	عز وجل وتعالى قدره
يا رب بصرنا فأنت الملتجا	واسلك بنا فضلاً سبيل من نجا
ومنهج التبليغ[1] ذاك المحدث	كم قادة يا قوم فيه أحدثوا
من بدعة في الدين لَم تكن على	عهد الرسول والصحاب الفضلا
كبيعة الصوفي وترك المنكر	وجهلهم بالله ربي فانظر
شعارهم اخرج وبين يا فتى	والعلم فيض عندهم قد ثبتا
بسبب الخروج للبيان	ودعوة الداعي شعار ثاني
وغير هذا من تصرف عري	من زهرة الحق وحسن المخبر

(١) المراد به منهج جماعة التبليغ.

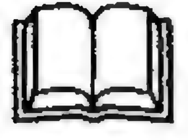
ومــن يشــأ خير الحياة والرضا ... فليتــبع حقًّــا ســبيل من مضى
في ســـنة قائمـــة نقـــيه ... وشـــرعة واضـــحة جلـــيه
ســار عليها المصطفى ومن على ... مـــنهجه عـــض فـــنعم النـــبلا
صـــلى علـــيه ربـــنا وســـلما ... والآل والصـــحب وتـــابع سمـــا
يـــا رب وفقـــنا جمـــيعًا للهدى ... والعـــلم حبـــبه إليـــنا أبـــدًا
أنـــت الكريم والرحيم يا صمد ... يـــا مـــن يـــؤم وعلـــيه المعتمد
أنـــت المجيـــب دعـــوة المضطر ... وكاشـــف الســـوء مـــزيل الضر

فصل في التعريف بالسلف ومميزات منهجهم

ثُـمَّ سـؤالاً ثالـثًا قـد رددوا قـالوا مـن الأسـلاف يا أ .
فقلـت مـن يسألني عن السلف ونَهجهـم حقًّـا ومنهج الخلف
فليرجعـن بـالفهم للنور الجلي وسـنة الهـادي الصدوق المرسل
لتبصـر العـين الوضوح الأمثلا ويشـهد القلـب حقـيقة الألى
مـن عايشوا التنـزيل والفرقانا وشـاهدوا مـن أوتي التبـيانا
ومـن علـى الـنهج يقينًا شمرا ولم يمـل أو يـرجعن القهقـرا
ومـن يشـأ أوصـافهم مفصلة فهـاك بعضـها صـريحًا فاقبله
أولهـا محـبة القـرآن وفهـم مـا فـيه مـن المعـاني
قـد ألـزموا أنفسـهم بـالمحكم ولم يخوضـوا في اشـتباه فاعـلم
بـل فوضـوا الأمر إلى من أنزله وآمـنوا بـه بـلا مجـادلـه
وأعلـنوا الإيمـان مطلقًـا بمـا أنـزله الله تعـالى في السـماء
والـثاني حـبهم لسـنة الـنبي وبحـثهم عـنها حثيـثًا فارغب
إذ قسموا الحديث بالقسم الحسن إلى صـحيح وضـعيف وحسن
ومـيزوا الصـحيح مـن سقيم بالجـرح والـتعديل والـتقويم
وباعتـبار قسـموه في العمـل قسـمين مقـبول ومـردود معل
فهـل رأيـت مثلهم من الورى لخدمـة السـنة حقًّـا انـبرى
والثالـث الصدق وإخلاص أتى ومـنهج في دعـوة قـد ثبـتا
في أصـدق الحديـث والتنـزيل أتـى صـريحًا هـذه سـبيلي
طـبقها قـوم هـداةٌ كمـل مـن سادة الخلق فعنهموا اسألوا

والسادس الوضوح في السير على ... منهاج ربي لَم يريدوا بدلا
لا حزب أو تنظيم عنهم اشتهر ... أو بيعة لغير وال معتبر
والسابع الحب لجمع العلم ... وفهمه حقًّا تمام الفهم
لأنه ميراث كل الأنبياء ... كما أتى موضحًا يا أتقيا
والثامن الإسهام في التعليم ... ليظفروا بجنة النعيم
على سبيل الخلد والدوام ... بفضل ربي خالق الأنام
والتاسع الفهم الصحيح للبرا ... وهكذا فهم الولاء للورى
عمدتهم خير النصوص فيهما ... فافهم رعاك الله فاطر السما
فكم أتى نص صريح محكم ... في الحب في الله أيا من يفهم
وهكذا البغض لأجل الله ... من كان جافيًا لدين الله
والعاشر الأناة تلك المؤثرة ... في ديننا السمح أتت مقررة
وبعد ذا تواضع عنهم زكن ... أتى به الشرع بنص لَم يهن
والحلم والرفق كلاهما أتى ... في الشرع والعقل صريحًا يا فتى
والبحث عن حق فقل عنهم ثبت ... بصادق النقل خيارهم روت
وطاعة منهم لوالي أمرهم ... في كفة المعروف فاعلم يافهم
ولم يكن منهم خروج أبدا ... على ولاة الأمر نصًا مسندا
بل دعوة وبيعة ومكرمة ... لدولة الدين الحنيف المسلمه
والبذل والنصح لأمة البشر ... ليرثوا الحسنى وينجوا من سقر
والأمر بالمعروف ثُمَّ المنكر ... ينهون عنه دائمًا لَم يفتروا
بالطرق الصحيحة الشرعية ... والأسس السليمة المرعية
والصبر حقًّا من عظيم زادهم ... واللين في الأمر طريق من فهم
وسنة الهجر لكل مبتدع ... متى دعا الداعي وذم المبتدع



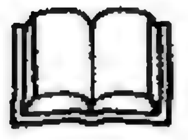
إذا دعـا جهـرًا لنشـر بدعته ... قـد حـذروا مـنه لقمع بدعته
ومـا تـنازعوا فـيه من الأمور ... تحـاكموا فـيه إلى الغفـور
أو سـنة الهادي الرسول المصطفى ... ففـيهما الخـير الوفـير وكفى
ثُـمَّ رجوعهـم إلى الحـق انجلى ... مـتى اسـتبان لَـم يثيروا جدلا
بـل سـلموا طوعًا وحبًا ورضى ... لمـا بـه الله تعـالى قـد قضى
ثم صـفات الله أثبـتوا كمـا ... جـاء عـن الله ورسـله انتمى
لم يسـلكوا فـيها مسالك الأولى ... مـن حـرفوا أو عطلوا كلا ولا
مـن شـبهوا أو مـثلوا أو أولوا ... أو ألحـدوا في النص جرمًا فعلوا
وفي نصـوص الوعـد والوعـيد ... قـد سـلكوا في المسلك الرشيد
بـالجمع بيـنها بـلا تعسـف ... بطـرق سـليمة فلـتعرف
ولم يكونـوا مـثل فـرقة طغت ... ولإمـام الحـق جهـرًا قاطعت
لهـا مـروق نـابع مـن الهوى ... عـن ديـننا الحـق بجل ما حوى
ولم يكونـوا مـن ذوي الإرجاء ... مـن عـرفوا الإيمـان بالأخطاء
عـلى خـلاف وجـدال بينهم ... ضـلوا الطـريق وأضلوا غيرهم
فهـل فهمـت يا أخا الإحسان ... أسـلافك الغـر ذوي الإيمـان

الباب الثاني: حديث مختصر عن بعض الفرق التي غلت في الدين فوقعت في الفتنة فضلت وأضلت

إن الثابت حقًّا والمسلَّم به في نصوص الكتاب والسنة ووثائق التأريخ الصادق المجيد يقينًا، أن عصر النبوة الغالي، وغالب عصر الخلفاء الراشدين المهديين بل وجميع أصحاب النبي الكريم صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين من الأنصار والمهاجرين؛ كانوا مجتمعين على المنهاج القويم ومعتصمين بحبل الله المتين، كان الكتاب والسنة بين أيديهم يعلمون ما فيهما ويعملون بمقتضى ما علموا ولَم يبدلوا تبديلاً.

بيد أنه في آخر زمان الصحابة بدأت فرق الشر والفساد والابتداع ترفع رءوسها وتتطاول بأعناقها، تبتغي الفتنة وتَهوى نشر الشر والفساد، فيما يتعلق بحق الله، وفيما يتعلق بحق العباد، فقد نشأت ثلاث فرق في الزمن المذكور آنفًا، هي القدرية، والشيعة الغالية، والخوارج، وبدأت الفتنة بحصار الخليفة الراشد عثمان ذي النورين ﵁ وذلك بسبب كيد السبئيين ومن معهم من المخدوعين، ولما قتل عثمان مظلومًا زادت الفتنة، واشتد البأس، والتبس الأمر بأسلوب جديد، ومكر شديد من الشيطان المريد، فحصلت الفرقة بين الناس في الكلمة والرأي، ومرقت مارقة في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﵁ تسمى الخوارج.

فقد روى مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه من حديث زيد بن وهب الجهني ﵁ أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي ﵁ الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي ﵁: «أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **يخرج قوم من أمتي**



يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتُهم تراقيهم، يَمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونَهم ما قضي لهم على لسان نبيهم لنكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد، ليس له ذراع على عضده، مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم؟ والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنَّهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا، قال سلمة ابن سهيل فنَزلني زيد بن وهب منْزلاً حَتَّى قال: مررنا على قنطرة فلما التقينا - وعلى الخوارج عبد الله بن وهب الراسي- فقال لهم: ألقوا الرماح وسلّوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أن ينشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا برماحهم قال: وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان فقال علي ﵁: التمسوا فيهم المخدج فالتمسوه فلم يجدوه فقام علي بنفسه حتى أتى ناسًا قد قتل بعضهم على بعض قال: أخروهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبر ثُمَّ قال: صدق الله وبلغ رسوله قال: فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ قال: **إي والله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثًا وهو يحلف**»[١].

ومثله عند مسلم من حديث عبيد الله بن أبي رافع -مولى رسول الله ﷺ: «أن الحرورية لما خرجت على علي بن أبي طالب فقالوا: لا حكم إلا لله، قال علي ﵁: كلمة حق أريد بِها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف لنا ناسًا، إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم -وأشار إلى

---

(١) أخرجه مسلم (٢/٦٤٨).

حلقه- من أبغض خلق الله إليه منهم أسود، في إحدى يديه طبي[1] شاة أو حلمة ثدي، فلما قتلهم علي بن أبي طالب قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئًا فقال: ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كُذبت -مرتين أو ثلاثًا- ثُمَّ وجدوه في خربة فأتوا به، حَتَّى وضعوه بين يديه قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي فيهم». زاد في رواية قال ابن حنين: «رأيت ذلك الأسود»[2].

---

(١) الطبي لذوات الحافر والسباع كالضرع لغيرها وقد يكون لذوات الخف.

(٢) أخرجه مسلم (٢/٧٤٩).

قصة خروج الخوارج

ذكر كثير من أهل العلم كابن كثير وغيره قصة خروج الخوارج، حيث اجتمعوا في دار لبعضهم في ضاحية البصرة في مكان يقال له: "الحروراء" وعددهم ستة الآف مقاتل يتهيئون للقتال مع علي رضي الله عنه ، فطلب عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- الإذن من علي ليخرج إليهم ليحاورهم لعلهم يرجعون إلى الحق، فقال علي لابن عباس إني أخاف عليك، فقال ابن عباس: كلا، فأذن له فخرج إليهم فناظرهم بنصوص الكتاب والسنة، فرجع منهم ألفان وصمم الباقون على الحكم بالكفر على من عداهم بعد إقامة الحجة عليهم كما صمموا على الخروج على الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم، وطريقة المناظرة مبسوطة في كتب التاريخ المعتبرة كالبداية والنهاية لابن كثير وغيرها من كتب السير[١]، وحينما اطلعت على قصة خروجهم واجتماعهم وكثرة فسادهم في الأرض من سفك للدماء ، وسلب للأموال، وجرأة على الحكم بالكفر على من سواهم.

قلت: سبحان الله ما أشبه الليلة بالبارحة، ذلك أن الأربعة الجناة الذين قاموا بجريمة التفجير في مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية يوم الإثنين الموافق للعشرين من الشهر السادس عام ١٤١٦هـ إنما كان عملهم ذلك امتدادًا لعمل أولئك الخوارج الوارد ذكرهم آنفًا، إذ لابد لكل نحلة من مورث ووارث، فبئس المورث وبئس الوارث والموروث، لقد كفَّر الخوارج القدامى الخليفة الراشد

---

(١) انظر البداية والنهاية (٣٧٩/٧)، وتاريخ الطبري (١٠٨/٣).

علي بن أبي طالب ومن كان معه من الصحابة الكرام والعظماء الأعلام، واستحلوا دماءهم بدون مسوغ مقبول، ولا دليل معقول بل ظلمًا وعدوانًا وعند الله تجتمع الخصوم.

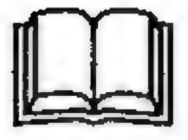
ومشى هؤلاء الجناة الأربعة المفسدون على طريقه الخوارج، وعثوا في الأرض فسادًا أيُّما فساد من قتل للأبرياء، وترويع للمسلمين، وإتلاف للأموال بدون خوف من الله ولا رحمة بعباد الله.

كان هذا الصنيع المشئوم منهم في بلد التوحيد وتحكيم شريعة الإسلام بلد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بلد الدعوة إلى الله على نور من الله، بلد الجامعات ودور العلم لنشر شريعة الإسلام على كافة المستويات للذكور والإناث وفي المدن والقرى وفي السهول والجبال، إن هذا الصنيع الصادر من هذه العصابة الطاغية الباغية ليحزن العقلاء ويؤسف الفضلاء ويثلج صدور السفهاء الدخلاء.

وحيث إن لكل شيء سببًا فلا يبعد عندي أن يكون من أسباب هذا الصنيع الشنيع هو التتلمذ والعكوف على بعض الكتب والأشرطة الثائر أهلها بكلماتهم الحماسية الخاطئة، نظمًا ونثرًا ضد منهج السلف الذي عرف قدره العلماء الربانيون، والحكام الصالحون المخلصون، فنصروه طاعة لله ومتابعة لرسول الله ﷺ.

وقد ازددت يقينًا أن ذلك من الأسباب التي أفضت بأولئك الجناة المعتدين عندما سمعت وقرأت لبعض الحركيين المعاصرين الذين انتقصوا العلم والعلماء، وكم عندي من أمثلة على ذلك غير أن هذه العجالة لا تتسع لسردها ومناقشتها ولأنَّها غير خافية على أولي الأحلام والنهى، ممن منَّ الله عليهم بقليل من العلم واهتمام بشأن الإسلام والمسلمين في أمر الدين والدنيا، ولا بأس أن أذكر مثالاً واحدًا مما سطره بعض أولئك[1] الحركيين حيث قال: في أحد مؤلفاته تحت عنوان

(١) عائض القرني.



دع الحواشي واخرج ودخل في الموضوع بطريق الشعر فقال :

صل ما شئت وصم فالدين لا　　يعرف العابد من صلى وصاما
واجعل السبحة مترين وخذ　　عمة بيضاء واصبغها رخاما
واترك العالم في غوغائه　　يتلظى في لياليه اضطراما
أنت قسيس من الرهبان ما　　أنت من أحمد يكفيك الملاما
تترك الساحة للأوغاد ما　　بين قزم مقرف يلوي الزماما
أو دعي فاجر أوقع في　　أمتي جرحًا أبى ذاك التئاما
لا تخادعني بزي الشيخ ما　　دامت الدنيا بلاء وظلاما
أنت تأليفك للأموات ما　　أنت إلا مدنف حب الكلاما
كل يوم تشرح المتن على　　مذهب التقليد قد زدت قتاما
والحواشي السود أشغلت بها　　حينما خفت من الباغي حساما
لا تقل شيخي كلامًا وانتظر　　عمر فتوى مثلكم خمسين عاما
والسياسات حمى مَحذورة　　لا تدانيها فتلقيك حطاما

فقال أخ كريم من علماء السلف تعليقًا على هذه الأبيات ما نصه: "قلت وفي هذه الأبيات إشادة بالسياسة الضالة المنحرفة، واعتماد لها، وإزراء بأهل العلم وعلمهم وتأليفهم، فلا علمهم ينفعهم ولا يفيدهم، ولا تسبيحهم ولا عباداتهم ماداموا لَم يشتغلوا بالفقه الحركي المبتدع، بل تكفيرهم كما قال:

أنت قسيس من الرهبان ما　　أنت من أحمد يكفيك الملاما

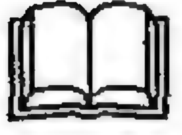
قلت: ولصاحب هذه الأبيات ترويج واضح لكتب ملأها مؤلفوها بالأخطاء الكثيرة والبدع الشهيرة، ككتب سيد قطب، وأبي الأعلى المودودي، وغيرهما ممن هو على شاكلتهما، رد الله أصحاب الإشادة بأهل الأخطاء الخطيرة والبدع الشهيرة إلى الحق ردًا جميلاً.

الخاتمة
طلب والتماس

وإذ كان الأمر أيها الإخوة في الإسلام والإيمان والإحسان كما علمتم، مما زبرته في هذا البحث الوجيز، فإنني أطلب وألتمس من العلماء البارزين والخطباء العاملين الناصحين والدعاة إلى الله الحكماء المخلصين، أن يشرحوا للأمة عمومًا وللشباب خصوصًا محاسن المنهج السلفي الذي اعتمد أهله على صحيح المنقول وصريح المعقول في كل باب من أبواب العلم النافع والعمل الصالح.

وبجانب ذلك أطلب وألتمس من العلماء الأعلام الذين يهمهم شأن الإسلام وأمة الإسلام بالدرجة الأولى شبابُها أن يحذروا الأمة بجد من كافة الانحرافات ومن مناهج الحزبيين الحركيين بشتى أحزابِهم، وتعدد فرقهم، وكافة منظماتِهم، ممن رضوا لأنفسهم أن يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فكم من رجال وكم من شباب قد خدعوا فدرجوا تحت نظام تجمع حركي وتنظيم سري باسم الدعوة إلى الله والغيرة على شريعة الله فباءوا بالفشل، بسبب عدولهم عن منهج الدعوة الرحيم الذي سار عليه النبي الكريم وأصحابه وأتباعه إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين ولَم يبدلوا تبديلاً.

ملحق

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة في بيان
منهج الدعوة الحكيم والتنديد بحادث التفجير اللئيم

الحمد لله الذي يدعو إلى دار السلام بفضله ورحمته ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، أحمده سبحانه، وأشكره، وأستعينه، وأستهديه، وأتوب إليه، وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة حق وصدق شهادة أهل الإيمان واليقين، أرجو بِها النجاة في الحياة الدنيا والبرزخ ويوم الدين من العذاب المهين، وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله خير من دعا إلى الله وعمل صالِحًا وقال إنني من المسلمين اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بِهديه ودعا بدعوته إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين.

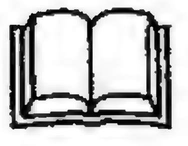
أما بعد:

عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فقد فاز وسعد المتقون وخاب وخسر المبطلون، ثُمَّ اعلموا -رحمكم الله- أن الله الذي خلق الخليقة كلف المكلفين بأوامره ونواهيه، ولَم يكلهم إلى عقولهم ليعرفوه ويوحدوه ويقدروه حق قدره، بل أرسل إليهم رسلاً كرامًا وبعث فيهم أنبياء عظامًا، جعلهم أمناء على وحيه، ووسطاء في تبليغ رسالته، وأنزل على أمم الأرض كتبًا فيها تبيان كل شيء وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين.

ألا وإن خير كتاب أنزل على أعظم نبي بعث وأرسل، هو كتاب الله الفرقان الذي قال تعالى في حقه: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾

وجعله شرفًا لنا وفخرًا من مفاخرنا فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤]. وتعبدنا بتلاوته، وفهم معانيه، والعمل بما دعا إليه جملة وتفصيلاً فهو والسنة الكريمة مصدر حياة القلوب والأرواح، لا حياة للبشرية إلا في ظلهما الظليل ولا سعادة لهم إلا بالسير في خطهما المستقيم الذي من سلكه فقد هُدي إلى سواء السبيل ألا وإن جملة ما جاء به هذا الكتاب الكريم وفصّله لنا رسولنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم تفصيلاً جليًا، هو كيفية دعوة الخلق إلى رحاب الحق، تلكم الدعوة التي هي وظيفة رسل الله الكرام وأنبيائه العظام، وصفوة الخلق من العلماء الربانيين الذين اصطفاهم ربُّهم واجتباهم وجعلهم ورثة لتبليغ تعاليم الإسلام مقتدين في دعوتهم وخلقهم وسلوكهم بالكتاب العظيم وخلق الرسول الكريم ﷺ قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: من الآية١٢٥]. سبحان الله ما أجلها من وصية وما أزكاه من توجيه تلقاه الصادق الأمين عليه أكمل الصلاة وأتم التسليم من ربه أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين، وتبعه على ذلك من دعا بدعوته حقًّا وصدقًا إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين، وقال ﷻ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

وحقًّا أقول -وأعوذ بالله من اللغو في القول- إن في هذه الآية الكريمة لبيانًا واضحًا، وإعلانًا صارخًا، مفادها أن صاحب الدعوة إلى الله لابد أن يكون على علم شرعي، وبينة واضحة نيرة، قدوته نبيه محمد ﷺ المخاطب بهذه الآية الفذة وأمثالها وغيرها وأمته تبع له في ذلك حذو القذة بالقذة، وبالدرجة الأولى صفوة الأمة وهم أولو العلم والبصائر الذين هم لأهل الأرض في الدلالة على المقصود والخير الوفير المنشود، كنجوم السماء في هداية المسافرين منهم والمقيمين.



وقال سبحانه في إيضاح شأن الدعوة والداعية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]. فيا لله كم فيها من ثناء وإشادة بكل من دعا إلى الله من أهل الإسلام والإيمان والإحسان يرجو رحمة ربه ويخشى عقوبته ولَم يخالف قوله عمله ولا سريرته علانيته.

أيها المسلمون: هذا هو منهج الكتاب والسنة في دعوة الخلق إلى رحاب الحق وتبليغ رسالة الإسلام إلى كافة الأنام، يحمل هذا المنهج في منطوقه ومفاهيمه ومضامينه، الرفق، واللين، والعطف، والرحمة بالمدعوين ليخرجهم من ذل المعصية إلى عز الطاعة، ومن موجبات العذاب إلى موجبات الرحمة والرضوان من الله الكريم الرحمن، خلافًا لمن سلكوا مسالك المشوهين لدعوة الإسلام، من قتل للأبرياء، وتفجير للمنشآت، واعتداء على الحرمات، وغير ذلك من التصرفات التي لا تقرها الشرائع التي جاء بِها الكمل من الدعاة إلى الله الذين أمرهم ربُّهم بالأسلوب الرحيم، والعرض الطيب الفهيم، يدعون أناسًا من البشر قد أوغلوا في الشرور، وسعوا في الأرض فسادًا في البراري والبحور، فصبروا عليهم واستمروا في دعوتِهم كما هو موضح في الكتاب والسنة ومسطور.

أيها المسلمون: لقد سمعنا بل وسمع العالم كله العمل الإجرامي الذي قامت به عصابة مجرمة باغية تَهوى الشر والفساد كما تَهوى فتح أبواب الفتن والشقاق والعناد، ذلكم العمل هو التفجير الذي تم في مدينة الخبر بالمنطقة الشرقية من بلادنا الحبيبة والفريدة في احتضان شرع الله المطهر عقيدة وعبادة ومعاملة وخلقًا وسلوكًا، نعم تم ذلك العمل الإجرامي والناس آمنون وأهل الفساد يخططون ليفسدوا على أهل هذه البلاد دينهم ودنياهم تنفيذًا لتوجيهات قادتَهم من شياطين الإنس والجن، واستجابة لهوى النفوس الأمارة بالسوء، وإصغاءً لصرخة الشيطان الذي يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير. حقًّا إن هذا الصنيع الفوضوي

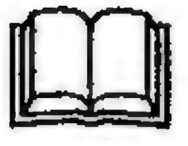
لا يصدر إلا ممن قلَّ دينهم ومسخت فطرهم وتقلص حياؤهم وركبوا متن عمياء وخبطو خبط عشواء في تصرفهم اللئيم المشين.

وإننا أيها الإخوة المسلمون من هذا المكان ومن منطقة الجنوب[١]، ومن مدينة صامطة بالذات بلد العلم والعلماء والدعوة السلفية السليمة لنستنكر أشد الاستنكار ما أقدم عليه أولئك المفسدون الذين أحيوا بدعة الخوارج الذين وصفهم رسول الله ﷺ بأخطر وصف حيث قال: «**يَمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»، ووعد من قتلهم بالأجر العظيم والخير العميم.

أيها المسلمون: إنني أقولها بصراحة باطنًا وظاهرًا، إن صنيع أولئك الأربعة الجناة الأولين الذين فجروا في مدينة الرياض يوم الاثنين الموافق للعشرين من الشهر السادس عام ١٤١٦هـ وصنيع هؤلاء المفسدين الجدد أصحاب التفجير في مدينة الخبر من فصيلة واحدة قد انطلقوا جميعًا لتحقيق غاية واحدة، ألا وهي تغيير نعمة الدين والدنيا التي ينعم بِها أهل هذه البلاد -المملكة العربية السعودية- أرض الحرمين الشريفين، وبلاد العلماء الربانيين، والحكام الصالحين المصلحين الذين نذروا نفوسهم لخدمة شريعة الإسلام، ورفع شأنها، واحترام أحكامها مع رحمة كل مواطن على أرض هذا الوطن، وليس هذا فحسب بل ولهم جهود جُلّى في شتى بقاع العالم الإنساني بكل طريق من طرق الدعوة الإسلامية الصحيحة والجهاد الإسلامي الحكيم.

حقًّا ويقينًا ومعاذ الله من التخرص إنه ينطبق على أولئك الجناة "**النار تأكل نفسها إن لَم تجد ما تأكله**" لقد امتلأت قلوبَهم فسادًا وحسدًا وحقدًا، فعميت عليهم الأنباء، وضلت عقولهم، وساءت نياتُهم وقبحت أعمالهم وأفعالهم، فاعتبروا ما أقدموا عليه جهادًا وتضحية ورجولةً وما هو في واقع الأمر إلا غدر ونكث

(١) وهي منطقة جازان من المملكة العربية السعودية.



وخيانة بل ومشاقة لله ﷻ ولرسوله ﷺ وافتيات على من جعل الله طاعتهم علينا واجبة وولايتهم علينا رحمة والتعاون معهم في كل بر وصلاح فرضًا محتمًا والدعاء لهم بما يصلح شأنهم حقًّا واجبًا، ولكن هواة الإجرام لا يعلمون وطريق الحق لا يبصرون:

خفافيش أعماها النهـــار بضوئه وأبصرها قطع من الليل مظلم

أيها المسلمون: إنه يجب علينا جميعًا وبدون استثناء أن نعتبر أنفسنا رجال أمن في هذه البلاد التي علمها لا إله إلا الله محمد رسول الله والتي تحكِّم شريعة الله في أرض الله.

نعم إنني أنادي وأكرر النداء لكل مواطن عاقل أن يكون رجل أمن، وعينًا ساهرة تتصيد أهل الشر والعبث والفساد، ومن ثُمَّ تسليمهم إلى أقرب مرفق من مرافق السلطة والعدل في هذه البلاد العزيزة ذات الأطراف المتباعدة ليحكم فيهم شرع الله وينفذ فيهم الحق الذي عرفته هذه البلاد من قرون مديدة وأحبته وعاشت في ظله ولَم ترض به بديلاً بل بذلت في سبيله النفس والنفيس، والغالي والرخيص، منذ أن توحدت هذه الجزيرة العربية على يد الإمام الموحد المجدد العادل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود -رحمه الله وطيب ثراه- ومشى على أثره أبناؤه الكرام الذين جعلهم الله رحمة وأئمة يهدون بالحق ويدعون إليه جميع الأنام، لا يطلبون الأجر والجزاء إلا من الله الملك العلام.

حقًّا إن المسلم ليعجب من المصائب ذات العجب، والتي منها قضية التفجير التي تمت في مدينة الخبر مؤخرًا حيث سفكت دماء الأبرياء من مسلمين ومستأمنين، وروع الآمنون في هذه البلاد من أقصاها واستنكر الحدث المشؤوم الصغير والكبير والذكر والأنثى فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأخيرًا: فإنني لأتساءل ماذا يريد هؤلاء وقادتُهم ومنظِّروهم من وراء هذا

الفساد والعبث، أيريدون أن تسود الفوضى محل الأمن والأمان ؟ أيريدون أن تعود الجاهلية التي طهر الله منها هذه البلاد بفضله ثُمَّ بجهود العلماء الربانيين والحكام المخلصين؟

أيريدون تحطيم القوة الحسية والمعنوية معًا حتى تصبح بلادنا لقمة سائغة لأعداء الله الذين يشعلون نار الفتنة من مكان بعيد؟

أم يريدون أن تقفل دور العلم وجامعاته التي لَم يعرفها آباؤنا الأولون في هذه الجزيرة حتى وضع بذرها وحجار أساسها الإمام المبجل عبد العزيز وأكمل البناء شيئًا فشيئًا أبناؤه الكرام احتسابًا لوجه الله، وحسن رعاية لمن تحت أيديهم بل ولغيرهم من عباد الله؟

نعم يريدون كل ذلك ويريدون من الشر ما هو أعظم من ذلك يريدون ليطفئوا نور الله بأفواهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الجبناء الحاقدون الحاسدون.

أيها المسلمون العقلاء الأوفياء: إن نيران الفتنة إذا شبَّت عمَّ بلاؤها وعندئذ يجب على الأمة المبتلاة أن تلجأ إلى الله بصدق في التوبة من كل ذنب، وصريح الإنابة بكل عزم، وأن تجدد الاستقامة على الحق التي بِها يتحقق خير الدنيا وسعادة الآخرة، وبتحقيقها تندفع الشرور الَّتِي من أحاطت به أوردته موارد الهلاك، وسلكت به مسلك الهون والعطب، كما ينبغي أن يكونوا يدًا واحدة وقلبًا واحدًا في القيام بالأسباب في إطفائها، وذلك بملاحقة أهل الفساد، حتى يؤخذ على أيديهم بالحق، ويذوقوا من العذاب الأدنى ما يحطم أفكارهم ويدحض نواياهم ويشتت شملهم ويبطل كيدهم.

وثقوا أيها المسلمون أن الله لا يهدي كيد الخائنين ولا يصلح عمل المفسدين.

اللهم اجعلنا صالحين مصلحين، وبشرعك عاملين، ولنبيك متبعين، ولولاة أمورنا ناصحين، ولأوامرهم في المعروف منفذين، ولهم محبين، وفي الولاء لهم في الحق والبر صادقين، وانصرنا جميعًا على القوم المفسدين وإن تسموا باسم الدعوة والدين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الفِهرِس



فهرس الموضوعات

الموضــوع **الصفحة**

أسباب استقامة الشباب
وبواعث انحرافهم

تأليف

فضيلة الشيخ

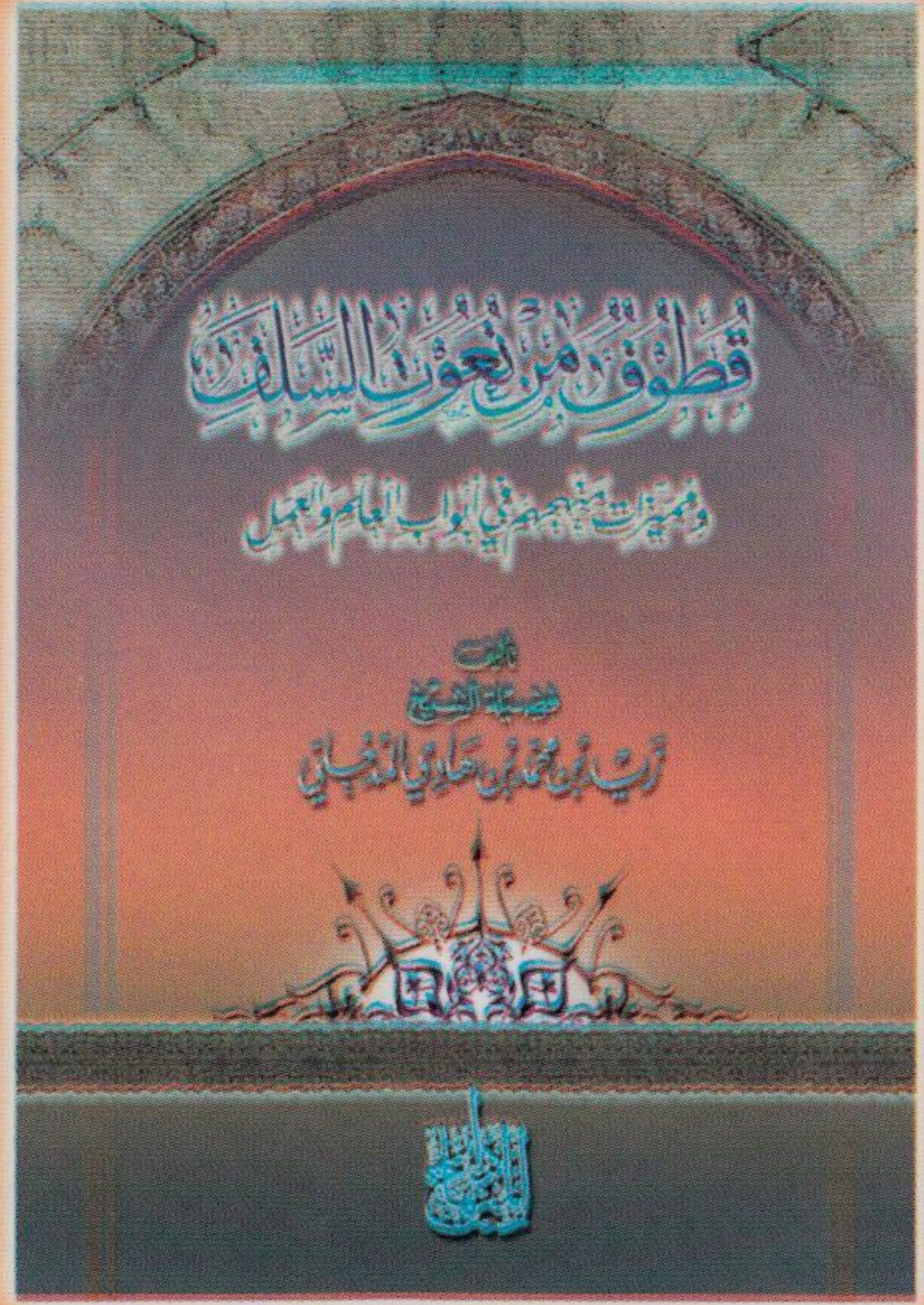
زيد بن محمد بن هادي المدخلي

تقديم

فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

دار المنهاج


قطوف من نعوت السلف
ومميزات منهجهم في أبواب العلم والعمل
تأليف
فضيلة الشيخ
زيد بن محمد بن هادي المدخلي